رسائل

الفلسفة في الشارد

بقلم

بسيم شكوري

نشرت بصحيفة النشرة الاقتصادية المصرية في عددها الصباحي
الصادر في يوم الاحد ١٧ اكتوبر سنة ١٩٩٣ ميلادية

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

١٩٢٠ ميلادية

١٣٣٨ هجرية

المؤلف

فقيه المالكية في وقته وعلامة المغرب

اهداء الكتاب

الى استاذى عبد الخبير افندى حمدى مدير صحيفة الصنوبر

تلك قصة ضمنت واقعة حال الفيلسوف نشأ وتلميذه على مبدأ ـ طوح بهما العوز الى طرق أبواب الصناعه ـ وكانا يشتغلان سرا بنشر مذهبهما حتى اذا اشتهر أمرهما جرد الناس عليهما حملة سعواء كادت تقعدهما عن العمل لولا ايمانهما بقضيتهما ـ تغرب الفيلسوف عن ديار ه لنشر مذهبه وترك تلميذه يجاهد باسم مبدئه حتى التف حوله كل من هام بامر اجتماعي وها أنت ياأستاذ صاحب مبدء أيضا لم تقعدك تطاول

ألسنة السفهاء عن نشر مبدئك الذي مات عليه المرحوم
فاسم بك امين

وهذا قد وضعت لك تلك الكلمات تكون تذكرة تشد
أزرك ان تألب عليك الضالون

وتلك يا أستاذ باكورة غرسك فان أحسنت فلك وحدك
حق الامامة واليك يرجع الفضل وان أخطأت فإليك أستمد
المعونة على اصلاح خطائي والسلام ؟ المخلص

بسيم شكري

بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل الفيلسوف الشارد

١

أخا البؤس وصديق العناء

كلانا تجرع كأس الغصص حتى ثمالتها، وصافح الشقاء بتلك اليد التي ما صلحت الا لحمل المطرقة ـ ولكننا، والدهر قلب، ضاع حقنا واحترقت مهنا ـ ومازال الناس يتجاهلون قدرنا،

اخاء البؤس وصديق العناء

عرفتك بائسا وصادقتك شاردا خالفنا المزلة سويا ـ اتخذنا من الكهوف مساكن ومن الرمال اسرة، جئت الى يوما تطلب درهما وكنت لا أملكه وحقك فقاطعتني ولم نفترق على العهد الذي عاهدتني عليه ـ والان ولم يصلني منك رد

كتاب فيه للنفس راحة من الام الفرقة ظننتك وقد ركنت
الى دار الخرق ابتسم لك الحظ فيها ـ فسكنت منازل الوحوش
المزخرفة في الدمقس والذهب ـ فاتخذت من القصور مقاما
ومن الحرير الاملس أسرة تقام على عمد من ذهب واستبرق
بين كواعب الكواعب والحور وبنت الحان ولذيذ الخمور تركتني
حيث مبت نفسك الوحدة وشدت العزلة ـ تركتني وحيدا
وحاشاني اشكو الوحدة ـ يزورني كل ليلة طيف وجهك
الطلق وتردد اذني كلام لسانك العذب الذلق واني وان كنت
دائما متمسكا بتلك النكتة « دع الالتفات الى ما فات » الا
اني اود ان اقف على سبب هجرك واستماع عذرك والسلام

٨ مايو سنة ١٨٢٠ ميلادية ريشارد

٣

أسنا البؤس وصديق الشقاء

كم توشحنا بستار الظلماء مخافة احتقار الغير لنا ، وكم امطرتنا الليالي آلاما وعرضت على مخيلاتنا تذكارات الماضي فتكاتفنا وتعاونا على رد غارات الدهر بالنذر اليسير من الصبر ، وقابلنا صروف الحادثات بصدر قد من فولاذ ، وكم من قائل : دعهم انهم اشقياء ، اصحاب مبدأ سخيف وبصر كثيف لا يدرون عاقبة ما يفعلون ، والقلم وما يسطرون ، فصبرنا على سر الكلام ومضض العيش ، ولا اظن ان يعرف العالم الا بعد ان يسكن لحده وهكذا لا تروج في المترك الا تجارة الشر والباطل ولكن « الايدي التي يصافحها الشقاء ، لا يطرق اليأس ابواب قلوبها » ،

انما الضنك وصديق الشقاء

ان ابلغ عذر هو الاعتراف بالذنب ، ولقد حملت عذرك السابق « حين طلبت الدرهم » على محمل سوء الظن ، فظننت انك

تود التخلص من عشرتي ، وانه وان يكن سوء الظن سببا في فراقنا فليجمعنا المبدأ ، ولا شك في ان هذا الاعتراف سيبرئك وتلك سجية تحمدها

فدع سوء الظن يولي ويفرق اديم الارض ، ويركض طرفه ايما ركض

هنري

١٢ مايو سنة ١٨٠٠

٣

الآن وهي سكن المدامع ، ودمع المدامع ، متباعدا عن كلام الناس ، ولغط البشر ، حيث انزويت اخرط في البكاء والعويل ،

عركتني الآلام ، وشجتني ذكرى السالف من الايام ، وحين انتشر جناح الظلام ، وحان ميقات المنام ، اتصلت في رسالة الاستاذ الامام ، فتناولتها متلهفا ، وفضضت ختامها

وقرأتها خمستها ،

ياأخا البؤس ويأصديق العناء

المتصدي الي العلماء ومذاهبهم كالتعصب الاجوف تهزأ منه الرياح ولو بلغ القباب طولا ، تسمع له صوتا فخما ، اذا ما حركته الرياح ، ولكنها قد تحمل عليه فعلة تذهب به ، وتقصف اعواده ، بينما هي لا تستطيع اقتلاع المذاهب في طورها الاول ، لان العقيدة مهما كانت حديثة ـ كالنبات الاخضر الصغير ، لا يمكن لهوج الرياح اقتلاعه ، «لان ماء الايمان يسري في عروقه»

ياأخا البؤس ويأصديق الداء

«لا تحلم بالثراء فتلاقي الثري» ، بالامس زرت صرحا لاحد الاغنياء ، وكنت اظن ان مركزي الادبي يبيح لي التمتع برهة بالجلوس على الاريكة واكل الشهي من لذيذ الطعام ،

فاذا بهم يتزأون مني ويسخرون فقائل يسأل .

ارنا ما عندك من المبادىء ، فلقد سمعت اذاننا سماع

مذهبك فهل من غيره ؟ ؟ . . .

كأني احمل في حقيبتي جملة مبادىء ؟ ؟ ولو اسهم لي

بجيران لما وجدت لهم دارا .

١٥ مايو سنة ١٨٠٠ ريشارد

٢

أخا الصفاء وصديق الشقاء

من الناس من يلجون الدار متجرعين الغصص — كما يليق

بالصفور باب القفص ، تخدعك ظواهرهم ويعلم الله ما بباطنهم

وعند الله مكرهم جميعا . يزعم احدهم انه تمذهب بالمذهب وامن

بالعقيدة ، فاذا كلامه حديث ينشره الليل ويطويه النهار .

هؤلاء نزلاء السور ، واذلاؤه وحليفو الشر واشواكه ، وثالثة

الفئة التي لا مبدأ لها جديرة بان تجعل في موطيء القدم ومحط
الميسم ـ يقدمون على اصحاب الميادىء متطفلين تخالهم وقد تعلوا
بشموة البرهان فاجابوا بالاعيان فاذا هم على غير ما عرفت
كصفحة الكتاب السوداء المصقولة ـ المعرضة للضوء ـ تخالها
بيضاء ناصعة البياض حتى اذا ما تصفحتها وجدتها ـ سوداء
حالكة السواد « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم
عذاب اليم » هؤلاء عباد الدراهم ألم تكن أبناء آدم واحفاد
حواء ؟ ؟ فلماذا يسلب مثلنا مكانته الادبية والمادية ؟ ؟ ؟

تالله من معترك على وجوه يسموم الشر ـ لاجل هذا سجن
اولو الايمان الراسخة والبصائر الراقية انفسهم مبتعدين عن
الملاهي وبنجوة عن النار الدخان ـ ففضلوا الباقع القفر والاكف
الصخر والعيش المر ـ عن الجنان ذات الافنان والحور والولدان
الى ان يقضي الله امرا كان مفعولا ـ فطوبى لنا ثم طوبى لاننا

على الاقل اصحاب مبدأ والسلام ؟ هنري

١٨ مايو سنة ١٨٠٠

٥

الرحيل

اليوم اكتب اليك وقد حزمت على الرحيل فتمت ساعة البلاجع الفجر اودع تلك الرياض التي منها لبت ؛ ومن ثديها رضعت لبان المعارف ، ارض وجدت في صدرها الرحيب كل الحنو ، وفي وجهها الجميل الفتان ، معنى العشق وآيات الجمال ، وما كان بودي أن أبرحها لولا مرارة العيش فيها وجهل اهلها أقدار العلماء .

ولقد ذرفت الدموع حين ودعتها بعيني الذابلة الكبيرة ، كيف لا ، وهي منتهى رأيي ، ولقد قال الناس عني وقد خبروني الملحق ، ولقد هجر الفيلسوف الشاعر ، لقد هجر الفيلسوف

العامل » لقد هرب الفيلسوف ! ! »

ودعت نسيمها العليل ، وغيثها البليل ، متخذ قول الحريري

وارحل ركابك عن ربع ظمئت به الى الجناب الذي يرجى به المطر
واستنزل الري من در السحاب فان بلت يداك به فليهنك الظفر

ولقد هممت بمبدأي فحملته معي دون متاعي حتى ان
يشاء الله لي المقام جميلا وعسى ان ابرحه الى ديارك وانا في رغد
من العيش يساعدني على نشر مذهبي وانجاز مهمتي والسلام

٢٢ مايو سنة ١٨٠٠ ريشارد

٦

الى الصديق وصديق الشقاء

استيقظت صباح اليوم على صوت تغريد العصافير ،
وجعلت أرقب عصفورا صغيرا اخذ يتنقل بين الشجيرات

المورقة وكان الحظ قد اسعدني فطوح بي الى حديقة نمت فيها ليالي فوقع في يدي خطابك فقضضت غلافه وما ان أتيت على اخره حتى سرق مني المعنى ، فخلته كلاما مبهما ، فرجعت بنظري نحو الفضاء العالي فاذا بالصباح وقد اكفهر فخيبت مني اضواء النهار ، رجعت بالبصر كرتين فقرأته مني وثلاث ورباع ، أسفت لتركك تلك الربوع المنعطشة الى علمك ولكن . . . لا بعد التغرب في طلب الرفعة فرقة ، وان هذا لما يعود على الوطن بالخير ، فسر على بركة الله لنشر مذهبك حتى اذا ما صار لك اعوان وصرت اعز نفرا رجعت الى هنا لنشر المبدأ وقد نصر الله كلمتك وسدد خطواتك .

واني اصدقك القول ، فلا عاش من كاذب اخاه ، ان الفضل لمتعلم تغرب عن ديار دفي طلب نشر مذهبه أو رفع شأن أمته والسلام .

٢٣ مايو سنة ١٨٠٠ هنري

٧

قد تكون تو الى الآلام سببا في تشجيع المرء الى ما يرمي اليه ، مثال ذلك . العذاب في الحب ، لا شك انه قاتل ، ولكن تلك الآلام لا تجعل صاحبها يائسا ، والامر بالعكس وعلى النقيض من ذلك ، والفيلسوف صاحب المذهب يحتقر ويمقت ولكن قد يكون ذلك سببا في تحقيق احلامه ، وقد تكون الاحلام حقيقية واقعة في المستقبل

ولقد كان لكتابك ، رغما من انه مؤثر ، مؤثر جدا ، وقع جميل في نفسي فقد شجعني على متابعة خطتي والله الهادي سبحانه

زرت بلدة . . . فرأيت العجب العجاب من اهلها وقوم سذج ببساطتهم ولكنهم يحترمون العلم واهله ، ولذا يمكنني قبل اؤكد انه لا تمضي بضع عشرات من السنين الا ويصبح هذا

الشعب في مناطق الجوزاء والسماك الاعلى . قطعت في هذه الرحلة ستة اشهر طوالا انجدطورا واسلاك تارة عورا تتقي ادميت سنابك الخيل ، نزلت بتلك البلدة المطالة الذكر فقابلني رجل من اهلها وسألني من انت ومن اين بلدك أتيت ؟ فرويت له قصتي بين الشهيق والبكاء فطيب خاطري قائلا . هون عليك ياصاحبي فمثلك جدير بأن يرحل عن بلد يقيم فيه على ضيم

٢٤ اغسطس سنة ١٨٠٠ ريتشارد

٨

بدأت انشر مذهبي فالتف حولي كل من يئس باهس اجتماعي يود التخلص من ربقة الجهل ، وعبودية عباد الدراهم ، وقد عجبني الناس فيذا لو رجعت هنري

٢٨ اغسطس سنة ١٨٠٠ ٩

الخاتمة

وهكذا ظل الفيلسوف مغتربا حتى وافاه قدره المحتوم وهو على باب مدينته وقد سمع الناس يهتفون باسمه فسقط من فرحه في ميدان مذهبه ، ولا غرو فالتمسك بعقيدة ، او مذهب جديد لابد ان يكون اول ضحية له

وقد خلده الناس بعد وفاته واعتنق اكثرهم مذهبه

هذا بعض ما يلاقيه الفلاسفة وحملة الاقلام في هذا المترك

هذا شأن كل من هام بامر اجتماعي . انما يهيم على وجهه الى ان يلقى حتفه ، يموت ويحيا مذهبه ، يموت وتحيا ذكراه ، يموت وتحيا امته

اللهم اقبضنا عاملين على اصلاح ما فسد من اخلاقنا وعلمنا الاجتماعية والسلام ؟

بسيم شكري

ملحوظة كل رسالة يليها الرد عليها ؟

قريبا

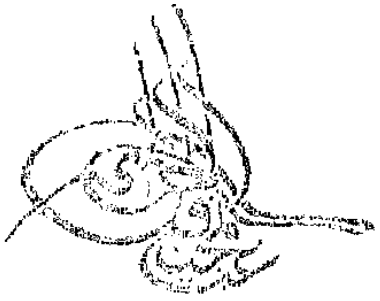

قريبا

وتمت الطبع وعلى وشك الظهور رغم الظروف

مكتبة العلمية ومطبعتها بمصر